الطّموح ـ يتحدى نفسه!

عبدالفتاح أبو مدين

•• هذا المقال كتب في وقته، يوم ترجل رجل امين يقضي اكثر وقته في اداء رسالته، غير ان الايام حالت بينه وبين جهده المتقن، وهكذا الحال مع الجادين الصادقين لان الظروف ما اكثر ما تحول بين الجادين ولكن كما قال شاعر العراقي الكبير معروف الرصافي رحمه الله في غابر الايام: "ما فاز الا النوم" واللاهثين وراء مصالحهم. ونحن ننتظر الساعة لان الامانة غربت شمسها.

•• وذاك دأب النجح بعد توفيق الله، ان تتحدى نفسك، ولا اقول تتحدى الآخرين، لان الانسان أي انسان، اذا تحدى نفسه فانه سيحقق الشيء الكثير، وأوشك ان اقول انه ينجز.. وانا امام تحقيق أداء الاخ شاكر عبدالعزيز رحمه الله، مع الدكتور احمد بن عبدالله عاشور مدير عام مستشفى الملك فهد بجدة سابقاً، وهو اليوم نائب مدير عام صحة البيئة، ونقرأ عنوانات: كونت امبراطورية طبية في مستشفى الملك فهد، التي يقصر عن ادائها الكثيرون.. فغير مستشفى الولادة والاطفال في اربعة اشهر، ثم قال اختلفت مع الدكتور نزيه نصيف فقدمت استقالتي، حدث خلاف بيني وبين الاستاذ فيصل الحجيلان ولكنه كان كبيرا في التعامل معي، حدث خلاف مع الدكتور اسامة شبكشي الذي تحدثت عنه جدة، الدكتور عدنان البار كان له دور كبير في "تأليب الأحداث" أنا أكبر مخالف ومتجاوز للتعليمات والانظمة، فالدولة تصرف ١١٪ من الميزانية على الخدمات الطبية التي لا يلمسها المواطن، حصلت على مبالغ كبيرة من رجال الاعمال، واوجه الصرف مثبتة في سجلات المستشفى، الاستاذ فيصل الحجيلان قال: أحمد عاشور يخالف من اجل اصلاح المستشفى، تم التحقيق معي مرات عديدة وحفظ لانني اعمل للمصلحة العامة، في اليوم الخامس لتولي الدكتور حمد المانع احلت للعمل كمستشار فاستقلت.

•• هذا التحقيق مثير في اسئلته وفي ردوده.. وقد عرفت الدكتور احمد عاشور ايام كان مديرا عاما لمستشفى الملك فهد، ورأيته مرتين او ثلاثا وهو يتحرك في مستشفى كبير ضخم، الزحام فيه على اشده، لانه يعالج بالمجان، فالناس يقصدونه من جدة وخارجها، رأيت هذا المستشفى وكأنه خلية نحل، والدكتور عاشور ليس في غرفة مكيفة يتناول الشاي والقهوة وعلى باب مكتبه لمبة حمراء، كلا! ولكني رأيته في ممرات ومكاتب وعيادات الاطباء، هاتفه في يده، ويتابع كل شؤون المستشفى كبيرها وصغيرها، والذي يراه على هذه الحال يشفق عليه ويعجب كيف يطبق ادارة كيان كبير يعالج الآلاف من خلال تنويم وعمليات وعيادات خارجية وميزانية لا تحقق نصف ما يحتاج من انفاق!؟

×× اؤكد في غير احتياط، انني قضيت دقائق ولحظات ماتعة مع حديث الدكتور احمد عاشور، لا لانه مثير، ولكن لان فيه شجاعة المسؤول الذي يشارك في العمل والابداع ليحقق عطاء لا ليتحدث عنه غيره، بل ليفيد مع غيره، هذا العمل هو الذي يستحق ان يذكر فيشكر ويشار اليه ويشاد به، اما العمل البطيء المتخاذل فلا يدفع الى الحديث ولا يستحق الذكر، لانه خسارة لصاحبه.. ان اتخاذ القرار شجاعة وطموح وقدرة وهذا ما نفتقده في العديد من اعمالنا واقوالنا، واقول ما اقل العمل المجدي الناجح، وما اكثر من نسمى عاملين، وصدق الله العظيم القائل: "قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا".

•• يقول الاخ شاكر عبدالعزيز، محاور الدكتور عاشور: هذا المسؤول مثير للجدل، عرفته من سنوات بعيدة تزيد على الخمس والعشرين، في بداية عهده بالعمل الحكومي في مستشفيات وزارة الصحة، واقتربت منه وهو يقدم انجازات في اسوأ مستشفى في جدة، وهو مستشفى الولادة والاطفال، وتابعت تألقه وهو يكوّن شبه امبراطورية طبية، في مستشفى الولادة والاطفال.. ويشير المحاور ان الدكتور عاشور في حديثه معه فجر العديد من القضايا، ومن ذلك استقالته من العمل في الوزارة، نتيجة خلاف مع وكيل الوزارة يومئذ الدكتور نزيه نصيف، لكن وكيل الوزارة عاد الى دعمه، حين راى التحدي الذي سعى اليه الدكتور احمد عاشور، والذي قاد الى ما حقق من انجاز في مستشفى الولادة والاطفال بجدة.. ورأيت ان الاسئلة المثيرة تولد اجابات في مستوى النبش وما يشبه التحدي.

•• حقا ان مستشفى الولادة والاطفال بجدة، كان شبه خرابة، ذلك انه هيكل خاو، حتى كان هناك قرار بإزالته، وحين جاء اليه الدكتور احمد عاشور، كان هذا الاقدام تحديا بهذه المغامرة، ومثل هذا الحال، حين يتحول لا شيء الى شيء، يبارك التحدي ويشاد به، ويقدر الجهد الكبير الذي استطاع في – اربعة اشهر – فقط ان ينشئ مركزا بجهد فاعل كيانا ذا قيمة، كان هذا المستشفى من اربعة ادوار، وكان الرابع قبل ان تطاله يد الاصلاح خرابة، وتجول الدكتور غازي القصيبي رحمه الله يوم كان وزيرا للصحة مع فريق من موظفي وزارته، ومعهم صحافيون، والدور الرابع كان مخصصا للاطفال ولم ينته ترميمه، وكانت حاله اسوأ ادوار المستشفى، الابواب مخلعة ومربوطة بحبل وملصقة بالمسامير، والارضية غير مبلطة وعاجة بالحشرات، وتجول الوزير في ادوار المستشفى الثلاثة مع مرافقيه، ورأوا سبل التجديد الجديد الكامل في اربعة اهلة.. واراد الدكتور عاشور ان يطلع الدكتور غازي وصحبه على الدور الرابع المغلق والخرب، وهو يمثل مفاجأة للحال التي كان عليها، وفجع كما قال الدكتور عاشور، فجع الدكتور القصيبي، وطلب من الصحفيين عدم تصويره، وسأل الوزير مدير المستشفى، فقال: ما هذا؟ فرد عليه: ان هذا المستشفى كان كذلك وعلى هذه الحالة من السوء، والدكتور غازي لم يكن يعرف هذا المستشفى قبل ذلك اليوم.. وسال الوزير وكيل وزارة الصحة الدكتور نزيه نصيف: أين الفلوس التي صرفت على تطوير المستشفى؟ وسأل الدكتور عاشور الوزير: كم يتوقع معاليك صرف على هذا التجديد، فقال: ليس اقل من خمسة عشر مليون ريال، وقال احمد عاشور: ان تكاليف ما شاهدتم لا يزيد عن مليوني ريال. ودهش الوزير ومن سمع هذه الاجابة. ودعم الوزير مدير المستشفى بخمسة ملايين ريال لاكمال كل متطلباته وتطويره.

•• حين تحول الدكتور احمد عاشور الى مستشفى الملك فهد بجدة، استطاع ان ينهض به بميزانيته المحدودة، ثم سعى مديره العام الى من يدعمه، وكانت استجابة المتبرعين حاضرة للاسهام.. وذلك ان المدينة تتوسع ويزداد سكانها وكذلك الملحقات التي حولها والبعيد منها، وكثر الاقبال على المستشفيات الحكومية، وتفاقم الزحام، والظروف لا تواجه الكتل البشرية الساعية الى منافذ العلاج المجاني، لاسيما من شرائح الشعب الكثيرة ضيقة ذات اليد، وشرائح من المقيمين، وتمتد مواعيد العمليات والتطور المقطعي وشح الادوية، حال نراها ونعيشها، ومواجهة عمل كبير كهذا بامكانات محدودة، هذا الضجر والحرج وحتى فقد الاعصاب، غير ان الذي يغامر بقبول التحدي يجد بسعيه وعلاقاته من يعينه ويدعمه ويسهل الخير عند ذويه، وهذا ما اعان هذا الرجل المغامر في ميدان كيان مسؤوليات غير ان ارادته كانت مهيأة للتحدي بلا حدود، والله سبحانه يعين الذي يتصدى ليس ليكون، وانما ليعمل وبتفاني بدون خوف ولا تردد، لانه من نمط خلق ليكون كذلك.

•• يقول الدكتور احمد عاشور، انا اكبر مخالف ومتجاوز للتعليمات والانظمة ولعل احدنا يقول: اذا كانت هذه المخالفة والتحديات تؤدي الى النفع والمصلحة فلا ضير ولا حرج ولا جناح، وادت هذه المخالفات الى استدعائه والتحقيق معه اكثر من مرة ولكنه في كل هذه المرات، كان يحفظ التحقيق، لان نتائج ذلك العمل كان للنفع وليس لشيء آخر، والمستشفى الذي كان يديره هذا الاداري الطموح، واحد من اكثر المستشفيات المتخصصة في جدة.. والذي يجتهد ويعمل للبناء ويحقق دعما متواصلا من القطاع الخاص عبر علاقات حميمية، فان هذا النجح يحسب لصاحبه لانه انجاز، ولم يقف مكتوف الايدي! ويقول ان الامكانات المتاحة لا تحقق الطموح ولا انجاز وما هو مراد، غير ان المرء الذي يقف على مرفق كبير ولاسيما في مجال العلاج والطب. ويعمل ما استطاع الى ذلك سبيلا ليسد النقص ويؤدي المراد منه او قريبا منه، فهذا جهد وطموح المجتهد العامل، ولو اتيح لنا في اي جانب يقدم خدمات للمواطنين، وان المشرفين عليها لا يريحون ولا يستريحون، لان في ذمتهم امانة وعليهم ان يوفوا اداءها، فان الحال سوف تمضي الى الافضل والاحسن، والله لا يضيع اجر من احسن عملا.

×× وعبر سؤال عن وضع وزارة الصحة، قال الدكتور احمد عاشور: الدولة تنفق جزءا كبيرا من ميزانياتها تصل الى ١١٪ تقريبا على الخدمات الطبية في المملكة، ومع ذلك لا تقابل هذه المبالغ الكبيرة خدمات صحية يأملها المواطن، ومعنى هذا ان هناك قصورا كبيرا! وذكر ان هذا يعني وجود خلل، وان الجانب الوقائي شبه مفقود.

والوزارة تركز على انشاء مستشفيات ومراكز علاج الفشل الكلوي، فلماذا لا تركز على الدراسات التي تبحث عن اسباب الاصابة بالفشل الكلوي وتعالج؟، ولماذا ترك الامور حتى تتفاقم ويمرض الناس ثم يعالجون في المستشفيات، وانه لابد من التركيز على الجانب الوقائي، بالاضافة الى قصور كبير في الجانب التنظيمي للاجراءات، وعدم تنسيق وتكامل بين ادارات الخدمات الطبية المختلفة في المملكة، كما يلاحظ تردي نوعية الخدمات الطبية المقدمة في مواقع الصحة، مما ادى الى ازدهار عامل المستشفيات الخاصة.

×× ومن باب الانصاف، فان الدكتور عاشور ينصف وزارة الصحة حين تقاس على الوزارات والمصالح الاخرى التي يؤدي قصور خدماتها الى مشاكل تؤثر على صحة الانسان وتزيد من اعباء وزارة الصحة، مثل قصور انظمة المرور في حوادث الطرق والتي تؤدي الى اشغال حوالى ٢٥٪ من خدمات واسرة الوزارة.. ولو قامت الادارات المعنية باداء عملها، لقلت نسبة الحوادث التي تصب في المستشفيات فحوادث الطرق يتحمل نتائجها مستشفيات وزارة الصحة، وكذلك قصور خدمات البلدية البيئية، الذي يؤدي الى انتشار حمى الضنك والملاريا، وذلك نتيجة قصور النظافة وانعدام المجاري، وهذا يشكل عبئا كبيرا على وزارة الصحة.

×× ويحمل الدكتور عاشور وزارة المياه والصرف الصحي مسؤولية قصور وتجاوزات فاقت جميع المعايير والاحتمالات، وقاسى منها الجميع، منها هدر في شبكة المياه الذي يؤدي الى ضياع ثروة وطنية كبيرة تقدر بملايين الريالات سنويا، وغياب عدالة توزيع المياه بين شرائح المجتمع والاحياء السكانية، مما ادى الى اثارة الغبن، ويزيد الطين بلة قضايا الصرف الصحي ومحطات المعالجة والتخلص من النفايات بطريقة خاطئة، وصب افرازات الصرف الصحي في البحر وفي شبكات الامطار، ادى الى تلوث بيئي خطير في الشواطئ ومشاكل صحية اثرت على سلامة الانسان وغذائه.. هذه وقفات مع حديث رجل تحمل مسؤوليات واداها بجهد كبير، لانه اراد ان يحقق طموحا في عمله لوطنه، كأمانة وواجب، وقد وفق بفضل الله، ثم بتضحياته المتواصلة، وتحول من مسؤولية علاجية الى مسؤولية – حماية البيئة – ولعلها اكثرهما وضعا وعناء، غير ان الانسان الناجح بتوفيق الله: يجد نفسه في اي موقع يحل فيه فيؤدي امانته بتفوق واخلاص وما احرى بلادنا ان تدعم في اطاراتها الطامحين والجهود المخلصة التي تدرك فداحة التفريط في الامانة الخطيرة الاداء التي خافت من اعبائها السماوات والارض والجبال واشفقنا منها فأبين ان يحملنها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا".

هذا الإنسان الضعيف

عبد الكريم بكار

الإنسان هذا المخلوق العجيب هو صنعة الله تعالى المحكمة الدقيقة هذا الإنسان الذي يبدو للوهلة الأولى في منتهى البساطة مشتمل على كلٍ أشكال التعقيد ، إنه يبدو قوياً مخيفاً مع أنه في حد ذاته ضعيف في كل جانب من جوانب شخصيته ضعفاً لا يوازيه شيء سوى ما يدعيه من القوة والعزة والسطوة.

ينفذ العمر دون أن نحيط بحقيقة أنفسنا . ويمكن أن نسلط الضوء على بعض ما أدركناه من ضعفنا وبعض ما يجب علينا تجاه ذلك . فهذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يبصر الأمر إلا ضمن شروط ومعطيات زمانية ومكانية وثقافية خاصة ومحدودة ، فهو لا يستطيع أن يتخلص من محدودية الرؤية وضرورة النظر من زاوية معينة ، وهذا هو السرّ الأكبر في أننا لا نملك أن نتفق حول كثير من المسائل والقضايا المطروحة . إن خصوصية تكويننا وظروفنا ومشاعرنا تدفع مواقفنا وآراءنا إلى التفرد ، ومن ثم فإننا نعجز عن توحيد الرؤية وبسط الرأي الواحد في أكثر شؤوننا.

نحن عاجزون عن إدراك الأشكال النهائية لأكثر حقائق هذا الكون دفعة واحدة ، فالحقائق لا تسفر لنا عن كل أبعادها وأطوارها إلا على سبيل التدرج ، ومن ثَمّ فإن الإنسان الضعيف يظل يكتشف عجزه باستمرار ، وكأن ما يحرزه من التقدم اليوم ليس إلا عنواناً على ما كان يجهله بالأمس ، وما سيصل إليه غداً ليس إلا رمزاً على ما يجهله اليوم ، ومن ثم فإن التغيير والتطوير يظلان ملازمين لكل إنتاجاتنا وإبداعاتنا علي مقدار ما نحرزه من تقدم في العلم والفهم ، والمقولة التي لا يفتأ هذا المخلوق الضعيف يرددها: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كذا، ولقلت كذا .. ، وانطلاقاً من هذا فإن من سمات النظريات العلمية الناجحة أن تكون منفتحة وذات قابلية جيدة للإضافات التي تأتي بها حركة كشف الحقائق وإدراك المجهولات.

هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يجزم بشيء مقطوع من حوادث المستقبل ، فمهما أدرك المرء الظروف والعوامل والمؤثرات التي تحيط به لم يستطع أن يعرف ماذا سيحدث له بعد شهر أو يوم أو ساعة ، وأعظم أطباء الدنيا لا يستطيع ضمان استمرار حياته أو حياة غيره ساعة من زمان ، ومن ثمّ فإن القلق والخوف من المستقبل هما الهاجس الجاثم فوق صدر الإنسان الحديث الذي فقد الإيمان وفضيلة الدمج بين الحياة الدنيا والآخرة ، والمتأمل في كثير من الأقوال والتصريحات والدراسات يجد أن خبراء الإستراتيجية هم أكثر الناس مجازفة ولا سيما عندما يشرعون في سرد التفاصيل للأحداث المتوقعة ، حيث تقصر طاقات البشر وإمكاناتهم عن التنبؤ بها.

خلاصة الأمر ، انه إذا كان الإنسان على ما ذكرنا من العجز والقصور فإن عليه أن يخضع لقيوم السموات والأرض خضوع العارف بضعته المدرك لعظمة خالقه متخذاً من ذلك باباً للأوبة والتوبة الدائمة .وعلى الإنسان مع ذلك أن يحترم عقله وقدراته فلا يزجّ به في مجاهيل وغيوب لا يملك أدنى مقدمات للبحث فيها ، حتى لا يتناقض واقعه مع ذاته ومن المنهجية القويمة أن نعلّم أنفسنا الصبر على الاستقراء والتأمل وعدم المسارعة إلي إطلاق الأحكام الكبيرة قبل التأكد من سلامة المقدمات التي تستند إليها ، وحين نصل إلي حكم ظني فإنه علينا أن نصوغه بطريقة تُشعر المطلع عليه بذلك ، فلا نسوق القطعيات مساق الظنيات ، ولا الظنيات مساق القطعيات .

إن الوضعية التي وضع الله تعالى فيها الإنسان تحتم أن نظل في حالة من الاستعداد الدائم لقبول الحق أياً كان مصدره والتراجع عن الخطأ وتعديل الرأي وامتلاك فضيلة الحق.

كاريكاتير أعجبني

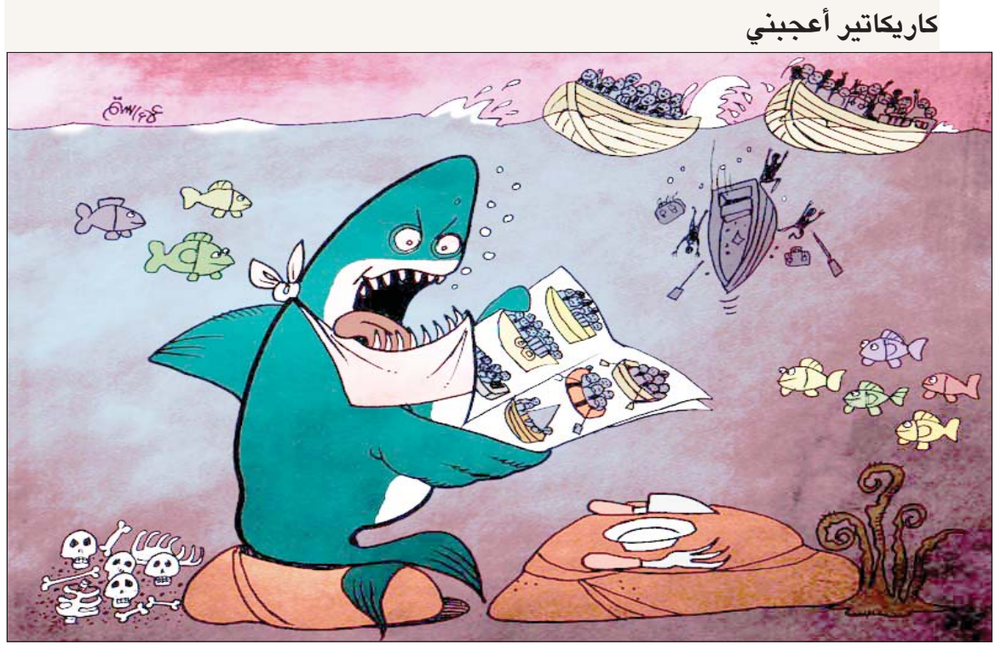

الموجة الانتفاضية والمتغيرات الدولية

د. علاء حمودة

منذ بداية الموجة الإنتفاضية ولم تهدا اسرائيل في إجراءاتها وتصريحاتها ومواقفها الرافضة للسلام نتنياهو القادم مؤخرا من الولايات المتحدة الامريكية دون المرور بالبروتوكول المتبع لزيارة الدولة الراعية للسلام يتصرف وكأنه لايرى احد سوى دولته ويزيد في غيه ويتحدث امام الأيباك ومجلس الشيوخ لتغطية جرائمه اليومية والمتتالية ومؤخرا يتخذ قرارات بناء مزيد من الوحدات الاستيطانية بل يزيد من الاجراءات اليومية والخطوات الاستفزازية والعراقيل المتبعة تجعل الفجوة تتسع لصالح التصعيد فنتنياهو يبحث عن إرضاءات هنا او هناك في داخل المشهد الاسرائيلي المعقد والذي يزداد تعقيده اكثر فاكثر بل تتجه فيه احزابه نحو الدولة الدينية بامتياز.

هذه المتغيرات وغيرها لا تراها اسرائيل وكأنها اصابها العمى فالموجه الانتفاضية تدخل الشهر الثالث دون البحث في الاسباب الكامنة خلف هذه الموجهة والى مدى ستستمر وتأثيراتها وابعادها فكل مرة تحاول اسرائيل التصدي لها بطرق امنية تقف مندهشة وعاجزة عن تفسير كل عملية يقوم بها شاب او فتاة مسلحين بأدوات بسيطة ،لم تدرك اسرائيل حتى الأن ان هذا الاسلوب من العمل الفدائي المقاوم غير مخطط له او يخضع للتدريب او التكتيك فلو كان ذلك ستقوم اسرائيل بفك رموز الخطط وتستكشف من خلال اجهزتها الامنية المسؤولين عن ارسالهم وستقوم بتتبعهم وملاحقتهم الى ان تصل لإنهاءهذه العمليات ،ولكن مايعقد ذلك انها عمليات ارتجالية من الدرجة الاولى. ان الموجة الانتفاضية التي بدأت تأخذ اشكالا وانماطا مختلفة وفريدة من نوعها اعتقد انها لن تهدأ ولن تنتهي حتى تحقيق الهدف التي قامت من اجله وهو وقف كافة اشكال العنف الاسرائيلية اليومية من انتهاكات بحق الفلسطينيين من قتل وحرق واختطاف ومصادرة اراضي واعتداءات من قطعان المستوطنين على ممتلكات المزارعين والمدن المجاورة للمستوطنات وهذا هو السبب الرئيسي والاول فإعادة البناء والاستمرار في منح المزيد من العطاءات يفتح شهية المستوطنين في الاستمرار بتلك الاعمال التخريبية بحق المدنيين الفلسطينيين ،وهذا يذكرنا بالسبب الرئيسي في بداية الموجه الانتفاضية حينما كانت هبة جماهيرية رافضة التقسيم الزماني والمكاني للأقصى المبارك وتحولت هذه الهبة الى موجة انتفاضية اعتقد ان اسبابها لاتزال موجودة

> **علينا ان نكون مقنعين وموحدين حتى نستطيع اقناع المجتمع الدولي بمانريد والى اين نحن ذاهبون**

ولم ير الفلسطينيون افاقا للحل فيها فقد تتحول الى ثورة واسعة تشمل كافة الأراضي الفلسطينية دون استثناء ، فلم تسعف زيارات كيري المتكررة للمنطقة وبان كي مون وغيرهم من المسؤولين لأن الامر لم يعد كالسابق.

ان المتغيرات على الساحة الدولية والاقليمية والعربية تجعلنا اكثر اصرارا واحتياجا لإعادة ترتيب البيت الفلسطيني الداخلي قد يصح القول ان هذه الموجة الانتفاضية بدأت بهبة شبابية دون تدخل الفصائل فيها وذلك لا نهاانطلقت من القدس بأسباب محددة ولكن حينما تحولت الى خارج اسوار القدس رأينا كيف اكملت الفصائل الفلسطينية جمال ورونق هذه الصورة في ملحمة التحدي للبقاء والحفاظ على الهوية وذلك من خلال الدور الحاضن والأدوار الأخرى الملقاة على عاتقها فهي الفطرة الطبيعية التي تولد مع كل حدث او هبة او انتفاضة او ثورة بتاريخ هذا الصراع المرير مع المحتل على مدى تاريخ وعمر الثورة الفلسطينية ولكن هذه المرة جاءت بنوع من الحكمة وماقد يفيد الحالة التي نعيش فوسائل الإعلام المسموع والمقروء لم تسكت ولم تتخدر جهدا بل طورت من أدائها وأبدعت أحيانا.

ان التطور الطبيعي والتدرج لما يحدث وتزايد اعداد العمليات الفردية والتزايد في المواجهات والاصابات يؤكد ان هذه الموجة الانتفاضية ستتسع خلال الفترة القادمة الى ثورة تتطلب العمل بشكل سريع وتحضير فالشباب الذي يخرج يوميا لمواجهة الاحتلال في داخله غصة كبيرة لأنه لا يستطيع اليوم الخروج ماديا بإنهاء الانقسام لقد اثبتت تجربة الخليل حينما خرجت الجماهير بعشرات الآلاف تنادي باستعادة جثامين الشهداء ان هذه الجماهير خرجت واصرت على هدفها ستكسر قرارات الاحتلال أيا كانت فاستعادة جثامين شهداء الخليل ليس العبرة فيها اعادة الجثامين فحسب فالخليل اليوم تسطر اروع نماذج البطولة هذه المحافظة ذات الطبيعة المختلفة نوعا ما جغرافيا وعشائريا ومن نقاط التماس مع المحتل وكونها غير منزوعة السلاح شكل حالة فريدة من العطاء للوطن علينا الوفاء لدماء شهدائها وجرحاها واسراها،علينا ان نكون مقنعين وموحدين حتى نستطيع اقناع المجتمع الدولي بمانريد والى اين نحن ذاهبون في اجواء ملبدة بالغيوم وازمات تعصف في المنطقة العربية والدول المؤثرة في العالم.

jadl@albiladdaily.com
يتم إرسال مقالات الكتاب على العنوان أعلاه

أحلامنا العجيبة

حصة العوضي

ما أكثر ما يحلم الإنسان وهو على وجه هذه الأرض.. يحلم نائمًا.. ويحلم واعيًا.. وكل تلك الأحلام تتلاشى في بوتقة النسيان.. أو تصادرها تيارات الواقع والحقيقة.. فلا الأحلام التي تسطو على لياليا الهادئة تتحقق.. ولا تلك التي نصوغها بملء إرادتنا تتحقق أيضًا.. فما نحن والأحلام.. وما هي علاقتنا بتلك الأطياف التي تدغدغ سباتنا.. وتقلقنا في أحايين كثيرة.. فلا نجد لها أي تفسير يتعلق بها.. أو بترجمتها حرفيًا إلى أرض الواقع..

ومع الأحلام.. تطالعنا المحطات الفضائية بالكثير من البشر ممن يحاولون أن يترجموا تلك الرموز إلى أحداث ووقائع حيّة.. وربما أحداث مستقبليّة مما لا يوجد علمها إلا عند الله وحده.. فهل يجب علينا أن نصدّق كل ما يُقال عن تلك الأحلام ..؟؟ وهل يجب علينا أن نبحث في تفسير مقنع لتلك الأحلام في كل مرة تراودنا فيها..؟؟

ومما ذكره الله تعالى في سورة يوسف في كتابه الكريم.. نعلم يقينًا أن تلك الأحلام ليست شيئًا عابثًا يمكننا تفسيره وتأويله كما نريد.. إنما تلك الأحلام هي علم من العلوم التي يُعلمها الله لبعض من خلقه.. وليس لجميع الناس.. فنحن نرى أن المفسرين الذين يحاولون تأويل تلك الأحلام في بعض القنوات.. وفي بعض المجلات والصحف.. إنما تتغيّر تأويلاتهم وتفسيراتهم تبعًا لمتغيّرات نحن نجهلها.. لكننا نعلم علم اليقين أن هناك رموزًا معينة لها تأويلات خاصّة لا يمكن أن يُخطئها أولئك الذي يعتبرون أنفسهم عالمين في تفسير الأحلام.. لكن اختلاف التفسير من شخص لآخر يجعل الناس في حيرة من أمرهم.. فمن يصدقون..؟؟ وهل سيحدث لهم ما فسره لكم ذلك العلامة.. أم الآخر..؟؟

لقد أضعنا الكثير من أيامنا وساعاتنا.. ونحن نبحث في تفسيرات منطقيّة لما نراه في أحلامنا.. وما يحدث لنا في الواقع.. ونتخيّل أن كل ما نراه في نومنا.. إنما هو تحذير.. أو إنذار.. أو بشارة سابقة لأوانها.. وعلينا أن نكون متأهبين نفسيًا وجسديًا لاستقبال تلك الرسائل الغامضة التي نراها وقت منامنا..

ولكن لماذا نبحث عن تفسير لأحلامنا..؟؟ ولماذا نجهد كثيرًا في البحث عن تأويلات تريحنا من عناء التفكير في تلك الأحلام..؟؟ لماذا لا نحاول نسيانها وحسب..؟؟ دون حتى أن نحاول عناء تذكر تفاصيلها بكل صغيرة وكبيرة..؟؟

هذا لأننا نحن البشر نبحث دائمًا عما يشغل حيز تفكيرنا.. وكأن ذلك الدماغ غير مكتف بما يحمله من عناء وذكريات وتجارب لا تعدّ ولا تُحصى .. لكنّنا نحب دائمًا أن نشعر بالعطف والمؤازرة من قبل الآخرين.. نحب أن نكون محورًا لاهتمامهم دائمًا.. ولكننا لا نجد ما نلفت به الانتباه إلينا.. فما علينا إلا أن نسلط الأضواء علينا ونحن نعلن عن أحلامنا الطويلة.. وأحداثها المثيرة.. والتي تتعدّى طول الأفلام الهندية.. وكذلك تلك الأحداث الغريبة التي نحاول روايتها وكأننا نحلق في عوالم غامضة تسحر ألباب الآخرين.. وتجعل منا ومن أحلامنا الغريبة محاور للتساؤلات.. وطرح الاستفهامات.. حول ما يحدث.. وما يمكنه أن يتحقق..

ونظل ندور كل ليلة وكل يوم.. باحثين في خفايا أدمغتنا وذاكرتنا عن أطياف جديدة.. يمكننا من خلالها أن نشدّ انتباه الآخرين.. ونستهويهم بها.. وكأننا نروي حكايات من ألف ليلة وليلة..

حسنًا.. الحقيقة أن للأحلام دلالات ومعانيَ.. لكن ليست كل الأحلام التي نراها لها مثل تلك الدّلالات.. فأكثر ما نراه هو أضغاث أحلام فقط لا أكثر.. لكن ما يستحق التأويل والتفسير.. هو ما يكون رؤيا معبّرة.. في منامنا.. وتحدث كما رأيناها.. مثل فلق الصبح.. ومثل وضح النهار.. وفي هذا ربما تساعدنا قراءة سورة يوسف وتفاسيرها المختلفة.. لنستدل منها على تلك الأحلام التي تستحق أن تشغل حيّز تفكيرنا.. وتلك التي يجب أن تُمحى وتختفي من إدراكنا بمجرد الاستيقاظ من النوم.. مع أمنياتي للجميع بأحلام سعيدة دائمًا.